

تاريخ القبول: 2026/05/20

تاريخ الإرسال: 2026/03/07

تاريخ النشر: 2026/05/23

سيولة المعنى وفصام النص

استراتيجيات النقد المعاصر في مواجهة "الأنطولوجيا الرقمية" للغة

The Fluidity of Meaning and Textual Schizophrenia

Contemporary Critical Strategies Confronting the "Digital Ontology" of Language

د. نسرين عطية

جامعة تمنغست (الجزائر)، atianesrine@univ-tam.dz

مخبر الممارسات اللغوية والأدبية بالمناطق الصحراوية وامتدادها بالساحل الإفريقي

الملخص:

تقتضي هذه الورقة البحثية الإزاحات الجوهرية التي أعادت تشكيل "بنية المتن الأدبي" في ظل سطوة الوسيط الرقمي، مستندة في ذلك إلى التمازج المعرفي بين أطروحات "فلسفة السيولة" ومناهج النقد الثقافي المعاصر. تتطرق الدراسة من إشكالية مفادها أن النص في الفضاء السبيرياني لم يعد كينونة مستقرة، بل استحالة إلى "وجود هلامي" يعاني من انفصام حاد بين مادته اللغوية ووسائطه الافتراضية؛ مما أدى إلى تفنت سلطة المعنى وتقويض التخوم الكلاسيكية التي كانت تفصل بين المنتج والمتلقي. كما تحلل الورقة مفهوم الأنطولوجيا الرقمية بوصفه إعادة اجترار لكينونة النص، حيث يضمحل المركز وتنتج الأفضلية للعابر واللحظي في العملية الإبداعية.

وتخلص آلة حتمية ابتكار استراتيجيات نقدية تتجاوز الأدوات البنيوية التقليدية، لتتعامل مع النص السيل المتملص من الأطر التفسيرية الجاهزة، فالرقمية هنا ليست مجرد وعاء تقني. بل هي تحول راديكالي في جوهر الأدب، يفرض على

الناقد الانتقال من تفسير السكون إلى رصد التحول، وإعادة صياغة مفهوم الأثر في عصر يتسم بتلاشي المرجعيات وسيولة العلامة السيميائية. الكلمات المفتاحية: الأنطولوجية الرقمية، سيولة المتن، الفضاء السبيرياني، النقد المعاصر، تشظي المعنى.

Abstract:

This research investigates the fundamental shifts reshaping the "literary text structure" under the hegemony of digital media, drawing on the epistemological intersection between the "philosophy of liquidity" and contemporary cultural criticism. The paper addresses a central problematic: the text in cyberspace is no longer a stable entity but has evolved into a "fluid existence" characterized by a profound rupture between its linguistic substance and its virtual mediation. This shift has resulted in the fragmentation of semantic authority and the erosion of the traditional boundaries separating the author from the recipient. Furthermore, the study deconstructs the concept of "Digital Ontology" as a re-envisioning of textual existence, where the "center" dissolves in favor of the ephemeral and the instantaneous within the creative act. The paper concludes by emphasizing the imperative of devising alternative critical strategies that transcend classical structuralist tools to engage with the "fluid text" that defies prefabricated interpretive frameworks. In this context, digitality is not merely a technical vessel; it represents a radical metamorphosis in the essence of literature, compelling the critic to transition from "interpreting the static" to "tracing the transformational," while redefining the concept of the (Trace) in an era defined by the erosion of referentiality and the liquidity of the semiotic sign

Keywords :Digital Ontology, Textual Liquidity, Cyberspace, Contemporary Criticism, Semantic Fragmentation.

المؤلف المرسل: نسرین عطية، الإيميل ATIANESRINE@UNIV-TAM.DZ

1. مقدمة :

تتموضع اللغة الإبداعية المعاصرة اليوم في مهبط تحولات راديكالية تجاوزت مفاهيم الوسيط لتمسّ جوهر الكينونة النصية؛ إذ لم يعد النص الأدبي مجرد بنية مغلقة تقبع في حيز الوجود المادي للورقة، بل تحول إلى دقات برمجية سائلة تخترق الفضاء السيبراني وتؤسس لما يمكن تسميته بـ "الأنطولوجيا الرقمية". هذا الانتقال من "الثبات الجمالي" إلى "السيولة الافتراضية" فرض على العقل النقدي ضرورة إعادة النظر في أدواته التفسيرية، حيث غدت العلامة اللغوية في هذا الفضاء فاقدة لمركزيتها التاريخية، ومنفتحة على احتمالات التلاشي الفوري والتحول المستمر، مما أربك العلاقة التقليدية بين الدال والمدلول في تشكيلات النص الحديث.

إنّ حالة "قصام النص" التي يطرحها هذا السياق المعاصر تتجلى في الانشطار الحاد بين جسد النص المادي (الشفرة) وروحه الجمالية (المعنى)؛ إذ يتخلق النص الرقمي داخل بيئة غير مستقرة بطبيعتها، مما يجعله يعاني من غربة مزدوجة؛ غربة عن مؤلفه الذي لم يعد يملك سلطة الإغلاق النهائي، وغربة عن قارئه الذي بات شريكاً في إنتاج "نص عابر" لا يستقر على حال. هذا التنشيط ليس مجرد عارض تقني، بل هو تحول بنيوي في الوعي الجمالي، حيث تعلو قيمة "اللحظة" على قيمة "الأثر الخالد"، وتطغى سمات التبعر والتعددية على الوحدة العضوية التي طالما كانت معياراً للنضج الأدبي في المناهج النقدية الكلاسيكية.

يتوازى هذا التحول مع صعود "فلسفة السيولة" التي تكتسح كل اليقينيات المعاصرة، فما كان يوماً "تسقا" صار اليوم "سياقاً" متحركاً لا يمكن القبض عليه إلا عبر مقارنة نقدية تعترف بـ "عدمية المركز". إن النقد المعاصر يواجه اليوم تحدياً

إبستمولوجياً يتمثل في كيفية قراءة نص يرفض الانحباس في قالب تأويلي واحد، نص يمتلك خاصية "الحذف والإضافة" اللحظية، مما يجعل منه كياناً هجيناً يقع في منطقة التماس بين الذكاء البشري والخوارزمية الرقمية. هذا التماس هو ما أفرز بلاغة جديدة تتسم بالاختزال الشديد، والقفز فوق الفجوات الدلالية، واعتماد الصورة والرمز الرقمي كمتنيمات لغوية لا غنى عنها.

في ظل هذا المشهد، يتراجع الدور "الوصفي" للناقد ليفسح المجال للدور "الأركيولوجي" الذي يبحث في طبقات المعنى المتغيرة داخل النص السيلال. لقد أدت الرقمنة إلى "خلخلة المرجعية"، فلم يعد النص يحيل بالضرورة إلى واقع موضوعي أو ذات إنسانية متجانسة، بل صار يحيل إلى "واقع بديل" مشيد كلياً من العلامات. هذا الانفصال عن المرجعية التقليدية هو ما يعمق حالة الفصام النصي، حيث يغدو الأدب مرآة لواقع سائل يفتقر للثبات، ويصبح الفعل النقدي مغامرة في أرض غير مستقرة، تقتضي اجتراح مصطلحات قادرة على استيعاب "تلاشي الجوهر" في مقابل "طغيان المظهر" الرقمي.

بناءً على هذا المسح الفلسفي والجمالي، تبرز الحاجة الملحة لاستتطاق آليات الاشتغال النقدي في ظل هذا الفضاء المراوغ؛ فالإلى أي مدى يمكن للنقد الأدبي الحديث أن يبلور جهازاً مفاهيمياً يتجاوز ثنائية الجمود والمرونة لاستيعاب فصام المعنى في النص الرقمي؟ وكيف يعيد مفهوم "السيولة الأنطولوجية" تشكيل ماهية الأدب، بوصفه أثراً جمالياً يتأرجح بين الوجود والعدم في الفضاء السيبراني المعاصر؟

2. نقد الثبات قراءة في إبستمولوجية في سيولة النص المعاصر:

تتأسس بنية النص المعاصر في الفضاء الرقمي على تقويض مبدأ "الاستقرار الجمالي" الذي طالما نادى به النقد الكلاسيكي، حيث يتحول النص من كيان مادي

مكتمل إلى دقات إلكترونية لا تعرف الثبات، مما يولد حالة من السيولة التي تذيب الحدود بين الأصل والنسخة. ويذهب الكثير من الدارسين إلى أن "ثمة مادة لغوية هامة هي التخيل وتلك هي التي يمكن أن نعدّها بمثابة المقابل الدقيق لكلمة **Imagination** التي تدل على عملية التأليف بين الصورة وإعادة تشكيلها" (عصفور، 1992، صفحة 88)، غير أن هذا المنطق يتهاوى في النص الرقمي لصالح منطق "التحول المستمر"، حيث يفقد النص مركزته الأنطولوجية ويصبح خاضعاً لصيرورة الحذف والإضافة اللحظية، مما يجعل من محاولة تثبيت المعنى ضرباً من المحال في ظل غياب الركيزة الورقية التي كانت تضمن للنص نوعاً من الخلود المادي والرمزي عبر الزمن.

إن فصام النص يتجلى بوضوح عندما تصطدم اللغة ببرودة الوسيط التقني، فتفقد الكلمات حرارتها الوجدانية لتتحول إلى مجرد "وحدات بيانات" تخضع لخوارزميات العرض والانتشار، مما يعيد تعريف العلاقة بين الذات المبدعة والموضوع الفني. لأن "الكتابة لا متناهية شكلاً وموضوعاً"، لأنها تواجه عالماً لا متناهياً " (أدونيس، 1994، صفحة 14)، وبذلك، فإن النص الرقمي يمارس تمرداً مزدوجاً؛ تمرداً على سطوة المؤلف وتمرداً على استكانة القارئ، مكرساً بذلك "أنطولوجيا الهامش" التي لا تقبل الانحباس في مركزية دلالية واحدة، بل تنتسب إلى آلاف المسارات التفاعلية التي تمنع النص من أن يكتمل في وعي المتلقي كبنية كلية منسجمة.

يعاني العقل النقدي العربي اليوم من ارتباك منهجي أمام هذه السيولة، إذ لم تعد الأدوات البنوية أو الأسلوبية قادرة على الإحاطة بنص يغير جلده في كل لحظة، مما يفرض الانتقال إلى "نقد التحولات" الذي يعنى برصد الصيرورة لا الأثر المستقر. أن النسق هو المحرك الخفي للخطاب، وهو الذي يوجه القارئ نحو أنماط

تفكير معينة، "ونحن بحاجة إلى نقلة نوعية تمس السؤال النقدي ذاته . لكن ذلك لن يتحقق ما لم تتحول الأداة النقدية ذاتها أيضاً، وهو تحول أو تحويل ضروري مذ كانت الأداة ملتبسة بموضوعها الأدبي وموصوفة به" (الغذامي، 2005، صفحة 25)، وفي النص السائل، يصبح النسق نفسه سائلاً ومراوفاً، حيث تتداخل فيه الأنساق الجمالية بالأنساق التقنية الاستهلاكية، مما يولد فصاماً نقدياً بين الرغبة في التأويل العميق وبين ضحالة الوسيط الذي يفرض "التسطيح" كقيمة عليا، وبحول القراءة من عملية استبطان إلى عملية استهلاك بصري عابر للسطوح.

تتلاشى في هذا السياق "هوية النص" التي كانت تفرضها ثقافة الكتاب، ليحل محلها "النص المستباح" الذي يمكن لأي عابر في الفضاء السيبراني أن يغير معالمه أو يعيد صياغة دلالاته بعيداً عن قصدية المؤلف الأول. "فالنظام اللغوي هو الذي يخلق المعنى عبر شبكة من العلاقات الداخلية وقدرته على خلق نظام متناسق ، وكونه فاعلية جذرية ، لكنه في الواقع فاعلية إضافية لا تأسيسية" (أبو ديب، 1984، صفحة 9)، بيد أن هذه العلاقات في النص الرقمي تنفتح على الخارج الافتراضي عبر الروابط التشعبية، مما يؤدي إلى تزلزل البنية وانفراط عقدها اللساني لصالح "قوضى دلالية" منظمة تقنياً، تجعل من النص "جسداً بلا أعضاء" حسب التعبير الفلسفي، يسعى للحضور في كل مكان ولكنه لا يستقر في أي مكان حقيقي.

إن التوغل في "أركيولوجيا الرقمية" يكشف عن فقدان اللغة لقدرتها على الإحالة المرجعية الصادقة، حيث تتفصل الدالات عن مدلولاتها وتصبح مجرد علامات تطفو في فراغ المعنى، مما يعزز حالة الفصام بين الواقع وما وراء الواقع. ذلك أن "النص يعكس أزمة الوجود التاريخي للإنسان وعندما نضع الواقعية في إطارها الزمني فإننا نرى فيها حصيلة لتراكم تاريخي من التجربة أو المعرفة " (دراج، 2004، صفحة 22) ، وفي الفضاء الرقمي، يعكس النص أزمة الوجود الافتراضي

حيث يغدو الإنسان واللغة معاً مجرد ظلال في مرآة التقنية، مما يفرغ الأدب من رسالته الوجودية الكبرى ويحوّله إلى "لعبة لغوية" باردة، تكفي بمحاكاة السطوح الرقمية دون النفاذ إلى جوهر المأساة أو الملهاة الإنسانية التي طالما كانت وقود الإبداع الحقيقي.

يؤدي هذا الانفصال إلى نشوء ما يمكن تسميته بـ "جماليات الغياب"، حيث لا يحضر النص إلا بوصفه غياباً لشيء آخر، وتصبح القراءة مطاردة لسراب لغوي لا يترك أثراً في الذاكرة الجمعية. أن "اللامفكر فيه هو الذي يحدد مسارات التفكير الظاهرة" (أركون، 1997، صفحة 11)، وهذا اللامفكر فيه في النقد المعاصر هو "التقنية التي تفرض سطوتها على النص وتجعل منه مجرد تابع لمواصفات برمجية، مما يعمق الفصام بين الرؤية الفنية والوسيط المادي، ويجعل من النص "لقيطاً" شرعياً لعصر لا يؤمن بالهويات الثابتة ولا بالحقائق المطلقة، بل بالسيولة التي تكتسح كل شيء في طريقها.

إن مآل النص السائل هو "التلاشي الأنطولوجي" حيث ينتهي به الأمر إلى أن يكون مجرد صدى في فضاء مزدحم بالأصدا، دون أن يمتلك صوتاً خاصاً يعبر عن كينونة متفردة. "فلا مجال للحسم في ماهية المعنى. من هنا جاء تعليق الحكم والقول بالإرجاء والتأجيل . وهذا شأن كل الكلمات إنها تشهد على التباس القول ومحنة المعنى وإشكالية الحقيقة" (حرب، 1993، صفحة 65)، فالحقيقة ليست معطى جاهزاً بل هي أثر ينتجه النص عبر استراتيجيات مخاتلة وفي النص الرقمي، تصبح الاستراتيجية الوحيدة هي "الاختفاء"، حيث يختبئ المعنى خلف جدران الحماية الرقمية والواجهات البصرية البراقة، تاركاً الناقد والقارئ في مواجهة نص لا يقدم يقيناً، بل يقدم "احتمالات لا متناهية" تذيب الذات في لجة المجهول وتعلن نهاية عصر "النص المرجعي" وبداية عصر "النص الهارب".

3. هيرمينوطيقا النتيه وانشطار المعنى وتعددية القراءة:

يواجه المتلقي في عصر السيولة نصاً لا ينتمي إلى "أب" شرعي واحد، بل هو نتاج تداخلات نصية هائلة تذيب مفهوم "القصدية" وتجعل من التأويل عملية بحث عن "سبح المعنى". أن "تاريخية النص تفرض قيوداً على تأويله، لكنها تفتح آفاقاً جديدة للفهم، فالكشف عن مفهوم النص التأويلي يعد أمراً مركزياً تقتضيه التحولات اللغوية أو البنيوية" (أبو زيد، 2014، صفحة 16)، غير أن النص الرقمي يفتقر إلى هذه التاريخية المستقرة، فهو نص "بلا ماضي" لأنه يتجدد في الحاضر باستمرار، مما يضع الهرمينوطيقا المعاصرة في مأزق، حيث يبحث الناقد عن سياق تاريخي لنص لا يعرف سوى "الآنية" الرقمية، وهو ما يكرس فصاماً حاداً بين الذاكرة الثقافية للنص وبين حضوره الافتراضي المنفلت من أي زمن حقيقي.

تتجلى "سيولة المعنى" في تعدد المسارات التي يفرضها النص التفاعلي، حيث لم تعد القراءة فعلاً خطياً، بل أصبحت قفزاً فوق الفجوات الدلالية وتوهاناً مقصوداً في المتاهة الرقمية. وعليه فإن "المخاطبة تفترض مقاماً تواصلياً واضح المعالم بحيث يصبح الخطاب وسيلة لكشف أنماط معينة ملتصقة فيه ومتحورة معه ، ويصبح للنص ارتباطات كثيرة أهمها الأنظمة الذاتية" (حمادي، 2012، صفحة 98)، ولكن في الفضاء السيبراني، يغيب المقام ويتحول النص إلى رسالة مرسلة إلى "الجميع" و"لا أحد" في آن واحد، مما يفقد اللغة قدرتها على تحديد وجهة المعنى ويتركها نهياً لتأويلات متناقضة تتغذى على فصام الذات القارئة التي تتأرجح بين رغبتها في الفهم وانبهارها بالوسيط.

إن انشطار المعنى في النص الحديث هو انعكاس لانشطار الهوية في الواقع المعاصر، حيث يجد الناقد نفسه أمام نصوص بلا "مركز" تنطق بلسان الجمع وتفكر بعقل الآلة. أن الرقمية تفرض نظاماً معرفياً جديداً يعتمد على التشبيك والوصل

فالمبدع العربي في مجال الرواية أو الشعر أو المسرح أو السينما مؤهل لممارسة الإبداع التفاعلي كما أن الباحث العربي الأكاديمي والناقد والمترجم، مؤهل للانتقال إلى توظيف الوسائط المتفاعلة بالصورة الملائمة بحثاً وتنظيراً. فالمبدع والناقد عندهم جميعاً المؤهلات التي تمكنهم من توظيف الإعلام الإلكتروني ومزاوئله، وهنا يمكن أن نقول أننا صرنا أمام وسيط جديد للإبداع والتواصل وهذا الوسيط أكثر تعقيداً من القلم والدواة ومقادير الورق " (بقطين، 2005، صفحة 25)، إن التشبيك هو في جوهره فعل "تفكيكي" للبنية المركزية، حيث يضيع المعنى في الزحام الرقمي ويتحول النص إلى شظايا معرفية لا يجمعها رابط عضوي سوى شاشة العرض، مما يعزز حالة "التيه الهيرمينوطيقي" التي تجعل من كل تأويل مجرد افتراض مؤقت لا يمتلك سلطة الحقيقة أو الاستقرار المنهجي. إن التفاعل والترابط، سمة أساسية للعصر الذي نعيش فيه، وما النص المترابط كما أشار يقطين أنه يتجلى من خلال مختلف الأجناس والأنواع، ويتصل بكل أنواع النصوص أياً كانت ليس سوى "تجريد" و"تجسيد" أيضاً لسمة العصر الذي نعيش فيه النص المترابط هو العالم المترابط وهو العالم المترابط لا مجال فيه للتمايز أو الانزواء أو تجزيء الأشياء إنه الفضاء - الشبكة (بقطين، 2005، صفحة 245).

تأزم الوضع النقدي حينما يتحول "القارئ" إلى "مستخدم"، حيث تغدو العلاقة مع النص علاقة تقنية صرفة تفنقر إلى العمق التأملية الضروري لإنتاج المعنى. أن اللغة ليست وعاءاً للفكر بل هي الفكر نفسه في تجليه المادي، ونستطيع أن نقول "إن اللغة اعتبرت - كثيراً- مجرد علامات على إحساس المبدع، فالعمل الأدبي مغامرة في داخل تنظيم الكلمات وتفاعلها من أجل أن يجعل الموضوع المعبر عنه وطريقة التعبير نفسها شيئاً واحداً" (ناصر، 1983، صفحة 81)، وفي النص السائل، يغدو هذا الفكر مشتتاً ومجزأً وفق متطلبات "السرعة الرقمية"، مما يؤدي إلى "قصام

دلالي "تضيق فيه المقاصد الكبرى خلف بريق العبارات المختزلة والصور المكثفة، ويصبح الفعل النقدي مجرد محاولة يائسة لترميم وعي متهالك أمام طوفان المعلومات الذي يغرق النص ويحوّله إلى مجرد ضجيج لغوي بلا جوهر.

إن "بلاغة التعدد" التي يروج لها النقد الرقمي هي في حقيقتها "بلاغة الغياب"، حيث يكثر الدال ويقل المدلول، ويصبح النص عبارة عن واجهة براقة تخفي خلفها خواءً فكرياً ناتجاً عن غياب المعاناة الإبداعية الحقيقية. "فالكتابة هي فعل مقاومة للعدم عبر خلق جسد لغوي متماسك" (بنيس، 2001، صفحة 23)، غير أن النص الرقمي يرفض هذا التماسك ويختار أن يكون "عدماً منظماً" يتماهى مع منطق السوق والاستهلاك، مما يولد فصاماً بين الرسالة الفنية السامية التي يدعيها النص وبين طابعه السلعي الذي يفرضه الواقع الرقمي الراهن، ويحول الناقد إلى "مستهلك متميز" لا أكثر.

يبرز الفصام النقدي أيضاً في التعامل مع "النصوص المولدة آلياً"، حيث يطرح السؤال الفلسفي حول "أصالة المعنى" في نص بلا ذات، وهل يمكن للتأويل أن يشتغل على مادة لم تمر عبر قناة الوعي الإنساني؟ أن الكتابة هي لعبة تتكرر ومخاتلة "إن الكتابة تتبنى في الاختلاف مع الكلام وذلك بالقدر الذي يتحتم عليها ألا تقلده مطلقاً، ولا أن تستنسخه طبق الأصل؛ بل بالأحرى الكتابة تغير الكلام وتغيره وتحويره، تُجَمِّلُ اللغة. إنها بالأخص الكتابة الشعرية، تتوفر على أعلى طموح، أي تحقيق التماهي التام بين الكلمة والشيء، حينئذ تتبثق أنشودة الفكر" (كليطو، 1982، صفحة 87)، وفي الفضاء الرقمي، تصل هذه اللعبة إلى ذروتها حيث تخفي الذات تماماً خلف الأفعنة الخوارزمية، مما يجعل من فعل "فهم النص" فعلاً عبثياً يبحث عن إنسان في غابة من الأسلاك والشيفرات، مكرساً بذلك "هيرمينوطيقا التيه" التي لا تنتهي إلى يقين بل إلى مزيد من الأسئلة الوجودية.

إن انشطار المعنى في النص الرقمي السائل هو تجلٍ لأزمة النقد المعاصر في القبض على "الروح" داخل "الآلة"، حيث تتصارع المناهج القديمة والحديثة مع الحقائق الجديدة للوصول إلى منطقة استقرار. فالمنهج هو الرؤية التي تنير النص، وقد "كان على الناقد أن يتسلح بالمناهج النقدية"، أن يعرف خلفياتها الفلسفية التي صدرت عنها، وتجلياتها في عالم الأدب، ولكن عليه أن ينسأها كلها لحظة مواجهة النص الأدبي بمعنى أن عليه أن يدع النص الأدبي أو العمل الأدبي يختار المنهجية التي تلائمها أو تتبثق تلك المنهجية إثر معاناة حقيقية في قراءة العمل الأدبي ومن هنا فإن عدة الناقد ينبغي أن تكون إضافة إلى ذوقه المرفه المدرب، مسلحة بالرؤى النقدية العميقة التي تجعل قراءة النص أو العمل الأدبي بعيدة عن التذوق الساذج غير المعلن" (السعافين، 1997، صفحة 78)، ولكن في عصر السيولة، تنطفئ الأنوار المنهجية أمام تعقيدات النص المتشظي، ويصبح المعنى مجرد "أثر عابر" في رمال الرقمنة المتحركة، مما يفرض على الناقد أن يكون "رحالة" في فضاء المعنى لا "مقيماً" فيه، وأن يقبل بفصام النص كشرط أساسي للكتابة في هذا العصر المنفلت من كل عقال.

4. بلاغة التشبيؤ "النص الأدبي بوصفه سلعة رمزية في فضاء الاستعراض":

تنزاح الممارسة الأدبية في الراهن الرقمي نحو منطقة "التشبيؤ" حيث يفقد النص هأله الجمالية ليتحول إلى منتج استهلاكي يخضع لمنطق العرض والطلب داخل أسواق القيمة الافتراضية، مما يفرغ العملية الإبداعية من حمولتها الوجودية ويجعلها مجرد استجابة لبروتوكولات تقنية مسبقة الصنع. إن "التشبيؤ هو أن يحوّل الإنسان إلى شيء تتمركز أحلامه حول الأشياء فلا يتجاوز السطح المادي وعالم الأشياء، والإنسان المنتشيء هو إنسان ذو بعد واحد، وقادر على التعامل مع الأشياء بكفاءة غير عادية من خلال نماذج اختزالية بسيطة، ولكنه يخفق في

التعامل مع البشر بسبب تركيبتهم والانسان المشيء إنسان قادر على الإذعان للمجردات المطلقة، والتسلع والتشيؤ مصطلحان مرادفان للظواهر الإنسانية إلى مادة استعمالية خاضعة لقوانين المادة" (الميسري، 2002، صفحة 14)، وهو ما ينسحب على النص السائل الذي بات يُقاس بمدى قدرته على "الانتشار" لا بمدى عمقه المعرفي، مما يولد فصاماً بين القيمة الفنية الجوهرية وبين القيمة التبادلية الرقمية التي تفرضها خوارزميات المنصات، محولةً الكاتب إلى صانع محتوى والناقد إلى مراقب للجودة التسويقية.

إن هيمنة "مجتمع الاستعراض" على بنية السرد والشعر المعاصر أدت إلى بروز جماليات "الفترة"، حيث يتم الاحتفاء بالصدمة البصرية والدهشة اللحظية على حساب التماسك البنوي والعمق الدلالي، مما يكرس فصاماً نصياً بين الواجهة الجذابة والجوهر الهش. أن "المعرفة المعاصرة أصبحت معرفة تقنية تفتقر إلى البعد الروحي والذاتي ذلك أن إشكالية القراءة لا تكمن في قصور القارئ المعرفي أو المنهجي، إنها لا تتمثل في عدم جدارة القارئ على القراءة، ولا في عدم استقامته في التعاطي مع مقروئه، إذ النص يحتمل بذاته أكثر من قراءة، وأنه لا قراءة منزهة، مجردة، إذ كل قراءة، في نص ما، هي حرف لألفاظه، وإزاحة لمعانيه" (حرب ع.، 1997، صفحة 13)، وهذا يتجلى في النصوص التي تُكتب بروح "السلعة"، حيث يتم تطوير اللغة لخدمة الصورة، وتهميش الخصوصية الثقافية لصالح لغة عالمية سائلة ومسطحة تضمن الوصول إلى أكبر قدر من المستهلكين، مما يفقد الأدب قدرته على النقد الجذري للواقع ويحوّله إلى أداة للتسلية الرقمية الرفيعة.

يؤدي هذا التشيؤ إلى تآكل "المؤلف" كذات واعية تمتلك رؤية للعالم، ليحل محله "المؤلف التقني" الذي يجمع الشنات المعرفي ويصيغه وفق قوالب جاهزة تضمن النجاح السريع في الفضاء السيبراني المزدهم. أن "المقدس والمندس يتداخلان في

تشكيل الوعي الجمعي ذلك أن المقدس هو كل ما ثبت في المخيلة الدينية والشعبية للناس ، واعتادوا عليه ، فهو إذن يعنى بالثوابت، إلا أن حالة الشك فيها والتساؤل حولها يعبر عن حالة اضطراب ورغبة في تغيير ثوابت الأمة' فالمقدس يعادل القوة والكينونة والخلود ، ولو رجعنا الى الاضطرابات فهي التي ينتج عنها التدنيس لهذه الثوابت" (محمد أركون، 1991، صفحة 58)، وفي النص المشياً، يصبح "المقدس الفني" مدنساً بقوانين السوق، حيث لا يجد النص شرعيته إلا عبر عدد الإعجابات والمشاركات، مما يولد حالة من الاغتراب الإبداعي يشعر فيها المبدع أنه ترس في آلة ضخمة لا يملك السيطرة على مخرجاتها الجمالية، ويغدو النص كائناً غريباً يعاني من انفصام بين منبته الشعوري ومآله التقني.

تتجلى "سيولة السلعة" في سرعة استهلاك النصوص ونسيانها، فالنص الذي يولد اليوم يموت غداً ليفسح المجال لنص آخر يمتلك نفس الموصفات الاستهلاكية، مما يحرم النقد من القدرة على التراكم المعرفي وبناء تقاليد قرائية رصينة. أن النقد العربي المعاصر يعيش أزمة هوية بسبب استيراد المناهج دون تبيئتها ، "لنتوقف قليلاً عند إساءة القراءة والانقلابات المستمرة أو التفجرات التي تحدثها القراءة التفكيكية في معنى النص. إن البحث عن عنصر مفتاح يمكن عن طريقه تحقيق قراءة تفكيكية جديدة تحول ما كان هامشياً في قراءة ما أو إساءة قراءة. من باب الدقة مركزيا ، وما كان مركزيا هامشياً لا يمكن تفسيره على أساس لغوي" (حمودة، 1998، صفحة 53)، وفي ظل التشيؤ الرقمي، تزداد هذه الأزمة حدة، حيث يجد الناقد نفسه مضطراً لتقييم نصوص عابرة لا تمتلك مقومات البقاء، مما يفرغ الفعل النقدي من جديته ويجعله مجرد "صدى" لعملية الاستهلاك الكبرى التي تبتلع النصوص والنوات على حد سواء.

إن "بلاغة التشبيؤ" تفرض على اللغة أن تتخلى عن مجازاتها العميقة لصالح لغة "البيانات" الواضحة والمباشرة، مما يقتل الغموض الجمالي الذي هو جوهر الفن، ويحول النص إلى معلومة قابلة للمعالجة السريعة. فاللغة هي بيت الوجود، وبها يتحقق التمايز الأخلاقي والوجودي "فلا لغة مثالية مستقلة عن واقع الممارسة اللسانية على طريقة أفلاطون"، ولا لغة منطقية محكمة تحكمها خارجياً في هذه الممارسة، ولا لغة طبيعية يعرض لها ما يعرض لهذه من الصفات اللسانية المعلومة من نطق وتركيب ودلالة وتداول، ولا لغة مخصصة تنفرد بوجودها وبرتبتها بين اللغات المختلفة: الصناعية منها والطبيعية، وإنما هي الوجود اللغوي ذاته ممثلاً في الكلمة من حيث هي كذلك وكما كانت في أصل الكون " (طه، 1995، صفحة 17)، ولكن اللغة في النص المشيأ، تضع هذه الخصوصية الوجودية لصالح "هوية رقمية نمطية" تذيب الفروق الفردية بين النصوص، وتجعل من الإبداع عملية تكرر لا نهائية لنماذج ناجحة سلفاً، مما يعزز حالة الفصام الدلالي حيث تبدو الكلمات مألوفة لكنها خالية من أي نبض إنساني حقيقي.

يصبح النص في هذا السياق "موضوعاً" وليس "ذاتاً"، ويتحول التلقي من فعل مشاركة وجدانية إلى فعل فحص تقني، حيث ينشغل القارئ بآليات الاشتغال البصري أكثر من انشغاله بالمضامين الفكرية والروحية. أن الأدب يفقد وظيفته التحريرية عندما يصبح جزءاً من المنظومة الاستهلاكية " فلا معنى للأدب أو الكتابة خارج مدار الحرية والديمقراطية ورفع صوت الإنسان وتمجيد العقل الطليق. لا يبدأ الأدب من المكتوب بل من القارئ، ولا يتعامل مع المكتوب إلا من وجهة نظر إنسانية القارئ المحتملة، وقد يقال من هو المكتوب ومن هو القارئ؟ وتأتي الإجابة قلقة وفيها بعض الشك والتردد: إن المكتوب معروف تماماً، أما القارئ فمكتسب، حاضر وغائب، بل ومحتمل" (دراج ف.، 1989، صفحة 24)، وهذا هو بالضبط ما يحدث

في الفضاء الرقمي، حيث يتم تدجين النصوص المتمردة وتحويلها إلى "أيقونات" قابلة للتبادل، مما يفرغ النقد من وظيفته التحريضية ويجعله يكتفي بوصف آليات التشيؤ دون القدرة على مواجهتها أو اقتراح بدائل جمالية تتجاوز سيولة السلعة.

ينتج عن هذه الحالة ما يمكن تسميته بـ "الاغتراب النصي"، حيث لا يجد النص مكانه في الذاكرة الثقافية بل في السجلات الرقمية الباردة، ويصبح المعنى مجرد "قيمة مضافة" لعملية تقنية معقدة. أن "التقنية تبتلع الإنسان وتحوّله إلى ملحق بها" (صفدي، 1990، صفحة 90)، والنص الأدبي المشيأ هو خير دليل على هذه التبعية، حيث يغدو الأدب ملحقاً بالبرمجيات، ويعاني من انفصام بنيوي يجعله يطمح للخلود عبر اللغة، بينما وسيطه الرقمي يفرضه ككائن مؤقت، مما يترك الناقد في حالة من الارتباك المنهجي بين نقد "الأثر" ونقد "السلعة".

5. نقد الاستعراض الذات المبدعة وفصام الهوية في العصر الرقمي:

يعيش المؤلف المعاصر حالة من "الانفصام الهوياتي" بين ذاته الواقعية وذاته الرقمية المستعرضة، مما ينعكس على بنية النص الذي يتحول إلى مرآة لهذا التششت الوجودي، حيث يغيب "الصدق الفني" لصالح "الأداء التقني". أن المؤلف لم يعد مالكاً لنصه بل هو جزء من نسق ثقافي واجتماعي أوسع " وهذا يعني أن النظر النقدي لثقافة الوسائل يعتمد على أخذ النص مقرونا في تفاعلاته مع المجتمع وتقاطعاته مع أنظمة الإنتاج وأنظمة الاستقبال في سبيل الكشف عن القوى التي تتولى انتاج الوسائل في حركة السياق الاجتماعي والتاريخي " (الغذامي، 2005، صفحة 75)، وفي عصر الاستعراض الرقمي، يتضخم هذا النسق ليصبح الخوارزمية هي المؤلف الحقيقي، بينما يكتفي المبدع بدور "المؤدي" الذي يشكل نصه وفق ما تطلبه جماهير الفضاء الافتراضي، مما يولد نصوصاً تعاني من فصام بين هويتها الإبداعية الأصلية وبين صورتها المستعرضة التي تسعى لرضا المتابعين.

إن تحول النص إلى "استعراض" يفرغه من حمولته النقدية تجاه السلطة والمجتمع، ويجعله ينكفي على ذاته في حالة من النرجسية الرقمية التي تحتفي بالذات لا كوعي بل كصورة. أن الذات في الأدب هي نقطة الارتكاز التي تنطلق منها الرؤى الكونية، بيد أن الذات في النص المستعرض هي ذات "متشظية" تبحث عن شرعيتها في الآخر الرقمي، مما يجعل النص يعاني من فقر دلالي يعوضه بفيض بصري وتقني، مكرساً بذلك "فصام الهوية" حيث لا يستطيع النص أن يحدد انتماءه لجماليات الكلمة أو لجماليات الشاشة.

تتلاشى في هذا الفضاء الحدود بين "الخاص" و"العام"، حيث يصبح النص الأدبي مكاناً للتعرية الذاتية الاستعراضية التي تسعى لجذب الانتباه لا لتحقيق الكشف الجمالي، مما يسقط النقد في فخ "البيوغرافيا الرقمية". أن "التأويل يجب أن يتجاوز الذات ليصل إلى البنية اللغوية" (ناصر م.، 1995، صفحة 66)، غير أن النص المستعرض يمنع هذا التجاوز لأنه يربط المعنى بـ "شخصية الكاتب الرقمية"، مما يولد فصاماً في القراءة بين الإعجاب بصانع النص وبين نقد المادة الفنية، ويحول الفعل النقدي إلى نوع من "العلاقات العامة" التي تساهم في تضخيم الهويات الوهمية على حساب الأصالة الإبداعية.

تنجلي "سيولة الهوية" في قدرة الكاتب الرقمي على تبني أفئدة وهويات متعددة داخل نصوصه، مما يفقد النص "تبرته الصادقة" ويحوّله إلى تمرين في المحاكاة الساخرة أو التقليد العقيم، وهو ما يربك المتلقي والناقد على حد سواء. أن "الهوية هي اكتشاف مستمر للذات عبر اللغة، ولكن في النص الرقمي المستعرض، تصبح الهوية "اختراعاً" تقنياً يسبق التجربة الإبداعية، مما يولد فصاماً بين "أنا" الكاتب و"أنا" النص، ويجعل من العملية النقدية مطاردة لسراب هويات زلقة لا تثبت على حال، وتتلاشى مع نهاية الجلسة الرقمية.

يؤدي "نقد الاستعراض" إلى كشف الزيف الذي يحيط بالنص الرقمي، حيث يظهر النص ككيان "استهلاكي" بامتياز يفتقر إلى المرجعية الروحية، ويغدو الأدب مجرد صدى لضجيج وسائل التواصل. أن التكنولوجيا تغير نمط التفكير في الأدب كما " وتتفاوت صناعة البرمجيات العربية من حيث الجودة والدقة وطرائق التعامل مع النصوص التي تعمل على تقديمها للقارئ، ولا يمكن أن تتطور هذه الصناعة في العالم العربي ما لم تتضح الغايات النبيلة والتربوية والثقافية الكامنة وراءها، وتتبلور الرؤية التي تكمن وراء الاستثمار في مجال هذه البرمجيات " (سعيد يقطين، 2012، صفحة 29)، وهذا التغيير هو الذي دفع الذات المبدعة نحو "الفصام النصي"، حيث تحاول التوفيق بين عمق التراث الورقي وبين ضحالة الوسيط الرقمي، مما ينتج نصوصاً "هجينة" تفتقر إلى الوحدة العضوية وتعاني من تمزق دائم بين ما تود قوله وما يفرضه عليها سوق العرض الرقمي.

يصبح "فصام المعنى" في هذا السياق نتاجاً لغياب "القصدية الموحدة"، حيث يتعدد المشاركون في صنع "الصورة الاستعراضية" للنص من مصممين ومبرمجين وجمهور متفاعل، مما يغيب صوت المؤلف الفردي. أن "النقد هو تذوق للأدب قبل أن يكون حكماً عليه" (محمد، 2017، صفحة 52)، ذلك أن ما يعرضه النص من أفكار وأبنية لغوية ورؤى معرفية ، لا يريد منه إلا بناء علاقة تواصلية مع الذوات المستقلة والقارئة لهذه العناصر، إذ لا يحصل للنص تعريف ولا بيان إلا بفضل ردات فعل الذوات القارئة، ولا يكون لهذه الذوات رؤى ولا توجه معلوم إلا من خلال مانتع عليه من درر وجواهر في كوامن النصوص ومحتوياتها (دحو، 2017، صفحة 69)، وفي النص المستعرض، يصبح التذوق معطلاً بسبب هيمنة "الإبهار التقني" الذي يعمي الناقد عن رؤية الخواء الفكري الكامن في بنية النص، مكرساً بذلك فصاماً نقدياً بين الانبهار بالوسيلة والنفور من المادة، ومحولاً الأدب إلى ساحة

لاستعراض القوة التقنية لا العمق الإنساني، وهنا يمكن القول أنه ليس المميز بين الأدب الرقمي والورقي هو التفاعل لأن هذا الأخير مطلوب في تكامل العملية الإبداعية (دحو، 2017، صفحة 69).

إن استراتيجيات النقد المعاصر مطالبة اليوم بـ "تفكيك الاستعراض" والبحث عن بقايا الذات الإنسانية خلف الأفعنة الرقمية، في محاولة لاستعادة "أنطولوجيا النص" التي تاهت في زحام السيولة والتشبيؤ. أن "فهم النص هو فهم للعالم الذي أنتجه" (أبو زيد ن.، 2005، صفحة 23)، وعالم النص الرقمي هو عالم الفصام والسيولة والغياب كما لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أيضاً أن النص المتفرع لا يتحقق خارج دوائر التفاعل التي تهبه الحيوية والمرونة والانفتاح، حيث أصبح القارئ المتصفح يتمتع بهامش واسع من حرية الاختيار يتيح له أن يقرأ الأعمال الأدبية الرقمية على أي نحو يشاء، وأن يلج عوالمها الافتراضية من أي مدخل متاح فيها (مبارك حداد، 2022، الصفحات 30-31)، مما يفرض على الناقد أن يكون "واعياً" بزيف الاستعراض، وقادراً على استنطاق المسكوت عنه في هذه النصوص التي تدعي الحضور المطلق وهي تعيش في قلب العدم، في محاولة أخيرة لترميم الهوية الإبداعية التي مزقتها مخالب الرقمنة.

6. خاتمة:

تأسيساً على ما تقدم يمكن القول إن الأدب المعاصر لم يعد يواجه أزمة "تعبير" بل أزمة "وجود" (أنطولوجيا) ناتجة عن انزياح المركزية اللغوية لصالح المركزية التقنية. لقد كشفت المقاربة النقدية عن فصام حاد في بنية المعنى، حيث يغدو النص ساحة للصراع بين ثبات الدلالة وتلاشي الوسيط، مما يفرض على العقل النقدي الانتقال من مربع "التفسير" الذي يفترض وحدة النص، إلى مربع "الحفريات الرقمية" التي تقر بتشتي الذات والموضوع. إن النتائج المستخلصة لا تقف عند

حدود رصد التحولات التقنية، بل تتجاوزها لتتوصل لوعي نقدي جديد يدرك أن "السيولة" هي القدر المحتوم للنص في عصر ما بعد الإنسان، وهو ما يمكن إجماله في النقاط المركزية التالية:

- انتقال النص من "الأثر الخالد" إلى "الحدث العابر"، حيث لم يعد الوجود المادي للنص ضامناً لاستمراره، بل أصبحت قيمته الجمالية رهينة لحظة التلقي وتفاعلية الوسيط.

- تشكل "أنطولوجيا رقمية" جديدة للغة، تذيب الحدود الفاصلة بين الحقيقة والمحاكاة، وتجعل من النص كياناً هجيناً يقع في منطقة التماس بين الوعي البشري والحوارزمية.

- بروز ظاهرة "فصام المعنى" كاستجابة بنيوية لتعدد المسارات التفاعلية، مما أدى إلى تآكل سلطة "المؤلف الواحد" لصالح "التعددية الدلالية المنفتحة".

- تراجع المرجعية الواقعية لصالح "المرجعية السيبرانية"، حيث أصبح النص يحيل إلى نصوص أخرى وصور افتراضية، منفصلاً عن سياقاته التاريخية والاجتماعية الملموسة.

- تحول القارئ من "متلقي مؤول" إلى "مستخدم فاعل"، وهو تحول أفرغ الفعل القرائي من عمقه الاستبطاني وحوله إلى ممارسة تقنية تكتفي بمسح السطوح الرقمية.

- هيمنة "بلاغة التشييؤ" على الخطاب الأدبي، حيث تم تدجين النص ليصبح سلعة رمزية تخضع لقوانين السوق الرقمية ومعايير الانتشار اللحظي.

- ظهور "هبرمينوطيقا الغياب" كمنهج بديل، يعنى باستنطاق المسكوت عنه في فجوات النص الرقمي، ويقر بصعوبة الوصول إلى يقين دلالي مستقر في ظل سيولة العلامة.

- انشطار الهوية الإبداعية بين "الذات الواقعية" و"الأداء الاستعراضية"، مما أفقد النص نبرته الصادقة وجعله يغرق في نرجسية رقمية تبحث عن الشرعية عبر الآخر الافتراضي.

- عزز المناهج النقدية الكلاسيكية عن الإحاطة بالنص السائل، مما يستوجب اجتراح أدوات نقدية "بينية" تجمع بين الفلسفة، والسميائيات، وعلوم الحاسوب. إعادة تعريف "الأدبية" في العصر الراهن، بوصفها ليست صفة ثابتة في النص، بل هي عملية تفاعلية متغيرة تتخلق في الفضاء السيبراني وتتلاشى بانتهائه.

7. قائمة المراجع:

1. إبراهيم السعافين. (1997). مناهج النقد الأدبي الحديث (المجلد 1). عمان، الأردن: جامعة القدس المفتوحة.
2. أدونيس. (1994). الثابت والمتحول، بحث في الابداع والاتباع عند العرب (الإصدار الأول، المجلد 7). دار الساقى.
3. جابر عصفور. (1992). الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي. الدار البيضاء-بيروت: المركز الثقافي العربي.
4. سعيد يقطين. (2005). من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي (المجلد 1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
5. سعيد يقطين. (2012). قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، معالم نقدية (المجلد 1). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
6. صمود حمادي. (2012). من تجليات الخطاب (المجلد 1). دار قرطاج.
7. عبد الرحمن طه. (1995). فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة (المجلد 1). الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.
8. عبد العزيز حمودة. (1998). المرايا المحدبة، من النبوية إلى التفكيك. عالم المعرفة.
9. عبد الفتاح كليطو. (1982). الأدب والغربة، دراسة بنيوية في الأدب العربي (المجلد 1). بيروت: دار الطليعة.
10. عبد الله الغدامي. (2005). النقد الثقافي، قراءة في الانساق الثقافية العربية (المجلد 3). لمملكة المغربية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

11. عبد الوهاب الميسري. (2002). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. دار الشروق.
12. علي حرب. (1993). نقد الحقيقة، (المجلد 1). بيروت: المركز الثقافي العربي.
13. علي. حرب. (1997). الاستلاب والارتداد (المجلد 1). الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.
14. فيصل دراج. (1989). الواقع والمثال، مساهمة في علاقات الأدب والسياسة. دار الفكر الجديد.
15. فيصل دراج. (2004). الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية (المجلد 1). الدار البيضاء - المغرب: المركز الثقافي العربي.
16. كمال أبو ديب. (1984). في البنية الإيقاعية للشعر العربي (المجلد 1). بيروت: دار العلم للمكلايين.
17. محمد أركون. (1991). من الاجتهاد إلى نقد العقل الاسلامي (المجلد 1). (هاشم صالح، المترجمون) دار الساقى.
18. محمد أركون. (1997). نزعة الأتسنة في الفكر العربي (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الساقى.
19. محمد بنيس. (2001). الشعر العربي الحديث، بنمياتها وابدالاتها (المجلد 2). الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
20. مصطفى ناصف. (1983). دراسة في الأدب العربي (المجلد 3). القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
21. مصطفى. ناصف. (1995). اللغة والتفسير والتواصل. عالم المعرفة.
22. مطاع صفدي. (1990). نقد العقل الغربي، الحداثة ما بعد الحداثة. بيروت: مركز الانماء القومي.
23. مندور محمد. (2017). النقد والنقاد المعاصرون. مؤسسة هنداوي.
24. نصر حامد أبو زيد. (2014). مفهوم النص. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
25. نصر حامد. أبو زيد. (2005). إشكالية القراءة وآليات التأويل (المجلد 5). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
26. حسين دحو (2017). النص الرقمي في الأدب العربي من الورقية إلى الرقمية، مجلة مقاليد، ع13، ديسمبر.

27. صلاح الدين - مبارك حداد (2022) النقد الرقمي بين الأدبية والرقمية، المجلد 22
مجلة الآداب، ع01، ديسمبر.

-